التناص الديني وإنتاج الدلالة الشعرية في نماذج من شعر سليمان جوادي

الطاهر بوفنش[1] أ.د السعيد بوسقطة[2]

1– قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار–عنابة، boufenechetahar@gmail.com

2– قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار–عنابة، boussakta.said@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2017/05/17 **تاريخ المراجعة:** 2017/10/19 **تاريخ القبول:** 2018/01/11

ملخص

لقد أنجبت الجزائر العديد من الأدباء والمفكرين الذين أثروا الحركة الأدبية وأسهموا في تطويرها ومن بين هؤلاء الأدباء نذكر الشاعر "سليمان جوادي" الذي أسهم في إثراء تلك الحركة بأعماله ونشاطاته، وفي هذه المقالة حاولنا أن نسلّط الضوء على دواوينه "قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا" "ثلاثيات العشق الآخر" و"يوميات متسكع محظوظ" وهذا بدراسة ظاهرة التناص الديني، وتظهر أهمية هذه الدراسة في كونها تُظهر تعدد آليات التناص لدى الشاعر جوادي، حيث إنّه أخذ العديد من أفكاره ومعانيه من النصوص الدينية وخاصة القرآن الكريم والحديث الشريف.

الكلمات المفاتيح: تناص، استحضار، استدعاء، اقتباس، نص جديد.

Religious Intertextuality and the Production of Poetic Significance in Suleiman Djouadi's Poetic Models

Abstract

Algeria has given birth to many writers and thinkers who have enriched the literary movement and contributed to its development. Among these writers, we find the poet, "Suleiman Djouadi," who contributed to the enrichment of this movement through his work and his activities. In this article, we have tried to highlight his poetry, and, the phenomenon of the religious intertextuality. The importance of this study is distinguished by showing the multiplicity of intertextual mechanisms of the poet Djouadi, in which he was interested in religious texts and inspired from his ideas and his thinking from this heritage, in particular the Koran and the Hadith.

Keywords: Intertextuality, evocation, call, quote, new text.

L'intertextualité religieuse et la production de la signification poétique dans des modèles de la poésie de Suleiman Djouadi.

Résumé

L'Algérie a donné naissance à de nombreux écrivains et penseurs qui ont enrichi le mouvement littéraire et contribué à son développement. Parmi ces écrivains, on trouve le poète, "Suleiman Djouadi," qui a contribué à l'enrichissement de ce mouvement grâce à son travail et ses activités, Dans cet article, nous avons essayé de mettre en évidence sa poésie, et le phénomène de l'intertextualité religieux. L'importance de cette étude se distingue en montrant la multiplicité des mécanismes intertextuels du poète Djouadi, qui il s'est intéressé aux textes religieux et s'est inspiré de ses idées et interprétations, en particulier le Coran et le Hadith.

Mots-clés: Intertextualité, évocation, appel, citation, nouveau texte.

المؤلف المرسل: الطاهر بوفنش، boufenechetahar@gmail.com

1- التناص مقاربة نظرية:

تعدد مفهوم التناص عند الكتاب والباحثين وهذا التعدد راجع إلى تنوع الأفكار والثقافات واختلاف الإيديولوجيات، فالتناص من الناحية اللغوية كما جاء في لسان العرب: "نصص النص: رفع الشيء، نص الحديث، ينصه: رفعه وكل ما أظهر، فقد نص، وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنصّ للحديث من الزهري، أي أرفع له وأسند. نصَّت الظبية جيدها: رفعته. ووُضِع على المنصة: ما تُظهر عليه العروس لِتُرى. نصَّ المتاع نصّا: جعل بعضه على بعض. ونصّ الدّابة ينصها نصّا: رفعها في السير وكذلك الناقة. نصٌّ ونصيصٌ: السير الشديد والحث ولهذا قيل: نصصت الشيء: رفعته ومنه منصة العروس وأصل النّص: أقصى الشيء وغايته، ثم سمي به ضرب من السير السريع. ابن الأعرابي النّص: الإسناد إلى الرئيس الأكبر. والنّص: التوقيف والتعيين على شيء ما. نصّ الرجل نصّا إذا سأله عن الشيء حتى يستقصي ما عنده. ونصّ كل شيء: منتهاه. نصصت الشيء: حركته[1]. وفي المعجم الوسيط جاء: "تناصى القوم: أخذ بعضهم بنواصي بعض في الخصومة، تناصت الأشياء: اتصلت. يقال: هبّت الرّيح فتناصت الأغصان"[2].

ومن الناحية الاصطلاحية: مصطلح نقدي حديث وهو ترجمة للمصطلح الإنجليزي intertextuality وقد ترجم إلى التناص وأحيانا البينصية، وقد اعتبره أحمد جبر شعث: "ظاهرة لغوية معقدة ستتعصى على الضبط والتقنين الصارمين وتعتمد في تميزها وإدراك أبعادها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته بالأجناس الأدبية حيث يتمكن من ترجيح حقول التناص ومواقعها ومصادرها وأصولها النصوصية وفعاليتها في بناء النص"[3] إنّه يركز على المتلقي ومدى اكتسابه الثقافة الواسعة، فالمتلقي إذا أراد أن يفك رمز نص ما فلا بدّ له أن يكون ملّما بجميع الأجناس الأدبية (القصة، الرواية، المسرحية، الشعر، الأسطورة...إلخ) حتى يتعرف عن سبب استحضارها ومحاورتها من قبل النص الجديد؛ فهو كما قال محمد مفتاح: "وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أيّ خطاب لغوي بدونه إذ لا يكون هناك مرسل بغير متلق متقبل مستوعب مدرك لمراميه"[4] يسعى من خلال بحثه إلى فك شفرات النص والكشف عن خباياه، كما يمكنه الحكم على مدى وصول هذا المولود الجديد إلى مناص الشعرية والجمال الفني الذي أراده محاوره.

أ- عند الغرب:

حظيت نظرية التناص intertextuality بمراجعات نقدية حادة بين الثقافتين الغربية والعربية وهذا لأهمية هذا المصطلح الجديد والأثر الكبير الذي أحدثه على الساحة العالمية خاصة الأدبية منها.فعلى المستوى الغربي نجد "**جوليا كرستيفا**" **Julia Kristeva** أوّل من ابتدع هذا المصطلح في دراساتها النقدية بين سنتي 1966- 1967 "مع أنّها أشارت إلى استعارتها له من "**ميخائيل باختين**" **Mikhaïl Bakhtine** إذ اعترفت بفضله في التنظير النقدي له في إطار الشكلانية الروسية"[5] وقد اعتبرته: "لوحة فسيفسائية من الاقتباسات وكل نص هو تشرب وتحول لنصوص أخرى"[6] وهذا يعني أنّ أيّ نص جديد لا يأتي من عدم وإنّما يكون مزيجا أو متحولا من نص سابق. في حين نجد الناقد الفرنسي "**رولان بارت**" **Ronald Barthes** قد أثرى هذا المصطلح في دراساته المتصلة بمفهوم موت المؤلف، حيث أكد أنّ التناص: "يمثل تبادلا، دورا ورابطا وتفاعلا بين نصين أو عدة نصوص في النص تلتقي وتتصارع مع بعضها فيبطل أحدهما مفعول الآخر"[7] وفيما يخص "**جيرار جينت**" **Gérard Genette** فقد حاول تحويل هذا المصطلح إلى منهج بعد أن جمع أطرافه وفصل القول فيه وذلك باعتماده على جهود سابقيه في كتابه أطراس "ولم يتردد في الأخذ بفكرة التحويل فإنّ تصوراته حول الأنواع

الخمسة من العلاقات النصية (التناص، المناص، الميتانص، معمارية النص، التعلق النصي) كانت أكثر وضوحا وعمقا لاسيما في حديثه عن التعلق النصي الذي ميّز في إطاره بين نوعين من العلاقات هما علاقة المحاكاة وعلاقة التحويل"[8].

وبذلك يمكن القول: إنّ ظاهرة التناص تعد بالإجماع منتجا غربيا كتسمية وكممارسة نقدية يعزو كثير من النقاد المعاصرين السبب في ظهور هذا المصطلح واستخدامه في الخطاب النقدي المعاصر إلى تأثير المدرسة البنوية وما فرضه من أغلال صارمة على دراسة العمل الأدبي.

ب- عند العرب:

أمّا على المستوى العربي فقد كان لازدهار الحركة النقدية في النقد الغربي أثرها الإيجابي في النقد العربي، "فقد خصصت دورية ألف القاهرية للتناص عددها الرابع في 1984 كما أسهمت مجلة الفكر العربي المعاصر بعدد خاص من التناص وكان ممّا كتب في هذا العدد "عبد الوهاب ترو" عن مصطلح الإنتاجية عند كرستيفا مستعرضا بعض الجهود لباختين وجينت"[9] وقد أولى أنّ نقادنا العرب القدماء عناية بالغة لمفهوم التناص أو التداخل النصي لا بمصطلحاتها المعاصرة وإنّما بتسميات وأشكال أخرى متنوعة ومن هذه المصطلحات: الاقتباس، التضمين، السرقة، المعارضة، المناقضة "والقاسم المشترك بينها وبين التناص هو فكرة انتقال المعنى أو اللفظ أو كلاهما، أو جزء منهما من نص إلى آخر ومن عمل أدبي إلى آخر مع اختلاف في المقصد والغاية[10] هذا لا يعني أنّ النقد العربي القديم كان سبّاقا في استحداث هذا المصطلح واستخدامه ولكن كان له الفضل في الإشارة إليه من خلال مفردات نقدية وبلاغية تعتبر في الأساس شكلا من أشكال التناص.

2- التناص الديني في شعر سليمان جوادي:

لقد اهتم المبدعون الجزائريون بالنص الغائب فاستحضروا القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، بالإضافة إلى الشعر قديمه وحديثه وكذا الأمثال الشعبية والأسطورة والتراث القديم. ومن بين هؤلاء نذكر الشاعر الكبير "سليمان جوادي" أحد رواد الشعر الجزائري المعاصر، شاعر مخضرم يكتب باللغة العربية الفصحى واللهجة الجزائرية، يعتبر من أبرز الشعراء على الصعيد المحلي والعربي، سخّر قلمه للجزائر والعرب فذاع صيته وهذا ما شهد له به الشاعر الكبير "محمد بلقاسم خمّار: "... مع مرور الأيام ثم السنين اكتشفت جزءا من خفايا سليمان فكرا وإبداعا وضروب حياة خاصة اكتشفت أنّ سليمان بالإضافة إلى حدة ذكائه وحدة أفكاره وعمق مواهبه وسرعة بديهية يمتلك رصيدا معرفيا زخما في الثقافة العامة واللغة والأدب... وهو ما مكنه من امتلاك ناصية التجديد في أسلوب كتاباته الشعرية والنثرية"[11] وهذا الاعتراف إنّما يدل على تشبع الشاعر واغترافه من ثقافات متعددة جعلت مستوى تفكيره وخياله يكسران حاجز النمطية والتقليد. ولعلّ هذا التنوع والثراء يظهر جليا من خلال محاورة الشاعر للعديد من النصوص والمصادر ولعلّ أبرزها وهذا ما سنركز عليه في هذا المقال توظيف النص الديني في ديوانه: قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا" فنجده أورد العديد من العبارات التي تتقاطع وتتفاعل خارجيا مع المتن القرآني والديني. إذ إنّ هذا الأخير يشكل مصدرا مهما من المصادر التي استفاد منها الشعراء المعاصرون "في مد تجاربهم الشعرية بنسج الحياة وإعطائها الديمومة والبقاء وإكسابها قوة وفعالية وذلك لما يشكله الدين من حضور قوي لدى عامة الناس ولما يتمتع به من قوة تأثيرية عظيمة.هذا بالإضافة إلى كون الدين يمد الشعراء بنماذج أدبية بليغة"[12] ترفع مستواهم الشعري وبالتالي توصل الرسالة إلى المتلقي بكل وضوح ويتجلى هذا من خلال القرآن الكريم باعتباره المصدر الأوّل والنّص السامي والحضور الواسع والقوي الذي يلجأ إليه العديد من الشعراء

العرب المعاصرين عامة وشعر جوادي خاصة وذلك بما تتفرد به لغة القرآن من بريق وتجديد ولما فيها من صياغات وطاقات خارقة يمكن للشاعر أن يوظف من خلالها آية واحدة ويسقطها على حالته الشخصية أو الأزمات التي تمر بها الأمة العربية، فينقلها للقارئ بحيث يستطيع التأثير فيه فيدفعه نحو التأمل الجمالي للكتابة والاغتراف من منهله العذب.

أ- التناص الديني في قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا:

يغطي التناص القرآني في دواوين "جوادي" عامة وديوان **قصائد للحزن وأخرى للحزن** خاصة مساحة واسعة، كيف لا وقد وجد في القرآن الكريم منبعا غزيرا لا يتوقف، يثري به تجربته الشعرية فيأخذ منه متى شاء.

وقد تنوّع استلهام "جوادي" للقرآن الكريم بين الشكل والمضمون، فتارة نجده يستخدم بعض المفردات والتراكيب القرآنية وتارة يستخدم العبارة والجملة كما هي، وتارة أخرى يشير إلى القصص القرآنية أو شخصيات تحدث عنها القرآن الكريم. وفي ديوانه "قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا" يقول في المقطوعة الأولى من قصيدة "التي كتبتني وانتحار الأزمنة":

وأنّي لراضية بالذي قدّر الله

قانعة بالذي كتب الله

مؤمنة بالكتاب وبالسنة النبوية[13]

وهنا يوظف الشاعر لفظة "راضية" الواردة في قوله تعالى:[14]

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

لكن المعنى الذي أراده يختلف عن الآية الكريمة فقد جاء في التفسير: "أي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته وراضية؛ أي في نفسها، ومرضية؛ أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها"[15] وهنا أسقط آلام المدينة وما تعانيه من ظلم واضطهاد وكآبة وفوضى على امرأة مؤمنة وراضية بالذي كتبه الله لها، تعلم أنّ ذلك الوضع سيزول مهما تفاقم، وهذا التشخيص ساعد على جمال الصورة وروعة الأسلوب، كما قرّب الفكرة إلى ذهن القارئ.

وفي المقطع الخامس من القصيدة ذاتها يقول:

زوج في حيّنا طيّب الطيّبين

بطيّبة الطيّبات

فكان الجنين انتفاضة[16]

لقد استحضر الشاعر جوادي في المثال السابق الآية الكريمة:[17]

ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

وفي معنى الآية جاء في تفسير ابن كثير "قال ابن عباس الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيّبات من القول للطيّبين من الرجال والطيّبون من الرجال للطيّبات من القول"[18]، والملاحظ أنّ الشاعر فجرّ دلالة جديدة مختلفة تماما عمّا ورد في الآية الكريمة؛ فالشاعر يرصد في

هذه الأبيات واقعه المزري حيث كانت ثمرة زواجه تمثل انتفاضة ورفض لهذا الواقع الذي فجرّ ثورته كلّ كادح وهذا ما تمثله الأبيات التالية:

وكادحة قارنت كادحا

أنجبت بعدها ثورة

والسّلام عليكم[19]

ويلحظ القارئ في هذين المقطعين وجود تناص إشاري من خلال مفردتي (الطيبين– الطيبات) فالرجل الطيب لا يتزوج إلا امرأة طيبة والمرأة الخبيثة لا يتزوجها إلّا رجل خبيث، وقد استثمر جوادي هذا المعنى ليسقطه على الواقع المزري المليء بالتناقض.

وفي المقطوعة السابعة يستحضر آية أخرى فيقول:

يسألونك عن الساعة

لا تدس الدسائس فيها

ولا ينتهي العشق منها

ولا تستحم النفايات فيها

ألا قل ستأتي ولا ريب فيه[20]

لقد وردت لفظة الساعة في آي القرآن الكريم عمّا يزيد عن 30 مرة، ومن بين هذه الآيات نذكر الآية الكريمة:[21]

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾

مستغلا بذلك مغزاها الذي يوحي بحدوث المعجزات والخرق والتجديد والثورة، وهذا ما يطمح إليه الشاعر؛ إنّها ثورة تجتاح كالطوفان هذا الواقع العربي المتردي، فتنزع الخنوع والظلم من قلبه وأعماقه لتستبدله بواقع أكثر أملا وإشراقا ليعيش فيه الإنسان عيشة كريمة وهنيئة، والتناص مع الآية واضح فإذا كان النّاس يسألون الرسول صلّى الله عليه وسلّم عن الساعة، فقد أرشده الله أن يرد علمها إليه عزّ وجلّ "فاستمر الحال في رد علمها إلى الذي يقيمها لكن أخبره أنّها قريبة"[22] كذلك عند الشاعر إذا سأل أحدهم الشعب متى ستكون هذه الثورة والانتفاضة؟ فالإجابة: إنّها آتية لا محالة، فالشاعر على يقين بوقوع الساعة وهذا المصير المحتوم فيه إشارة على قرب قيام الثورة نتيجة اضطهاد الحكام ويظهر الرفض كذلك في المقطوعة الثامنة في قوله:

لكم دينكم سادتي

ولي الرفض واللاقبول[23]

وهذا اقتباس من الآية الكريمة: "[24] لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ وقد جاء في التفسير "قال البخاري: لكم دينكم "الكفر" وليّ دين "الإسلام"[25] ومنه فالشاعر يرى أنّ الطرف الآخر له الظلم والاستبداد، في المقابل نجده رافضا لهم وغير قابل لهذا الواقع المرير والحزين.

وقد أثبت الشاعر جوادي قدرته على فهم القرآن الكريم وذوقه الجمالي، إذ إنّ توظيف الآيات القرآنية واستحضارها في أشعاره، غالبا ما يكون بامتصاص معنى الآية ليقوم بإعادة صياغتها من جديد وفق ما يقتضيه نصه الشعري، يقول في قصيدة "كان يا مكان في جلسة مغلقة" وبالتحديد في المقطع الأول:

أنا والذي خلق السلم والظلم والشرق والغرب

... أنا والذي خلق الشمس للكل، للكل، للكل

أقسم يا سيدي إنّني لن أقول الذي قد رأيت[26]

نلمس في هذا النّص الآية الكريمة من سورة الأنبياء:[27]

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾

يستنتج المتلقي أنّ الشاعر اعتمد على امتصاص مضمون الآية وفق لغته الخاصة، وقد استثمر جوادي هذا النّص الذي ينبه فيه الله عزّ وجل عباده على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات، غير أنّ الشاعر ذهب بالمعنى مذهبا آخر حيث اعتمد على تجربته من الواقع، وهو التأكيد على علمه وإحاطته بكل ما يدور في الوطن العربي بصفة عامة ومجتمعه بصفة خاصة من فساد وظلم واضطهاد... إنّه انتقاد مبطن للحكام الذين ينهبون خيرات النّاس ويقسمونها فيما بينهم متناسين أنّ تلك الثروات هي ملك للجميع، وهو ما عبرت عنه مفردة (الشمس) إنّهم يسيرون أمورهم وفق متطلباتهم ورغباتهم حفاظا على مصالحهم.

كما اعتمد جوادي على التناص الامتصاصي؛ حيث استلهم مضمون وفكرة النّص القرآني ومغزاه بعد أن امتصه وتشربه من دون أن يكون في النص الجديد حضور لفظي واضح، وإنّما يكتشفه القارئ من خلال التعمق فيه.

يقول في المقطع الثالث من القصيدة نفسها يقول:

وما حنطوه... وما عقموه

ولكن تراءى لهم في عيون اليتامى

تراءى لهم في دموع الأرامل

تراءى لهم في السجون تراءى لهم في المقاصل[28]

يمتص الشاعر جوادي في المقطع السابق معنى الآية القرآنية التي تتحدث؛ عن أنّ رجلا "صوره الله على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه، فمن ثم شبّه لهم، فظنوا أنّهم قد قتلوا عيسى"[29] أمّا عيسى عليه السلام فقد رفعه الله إليه بعد أن تربص به أعداؤه شرا يقول تعالى:[30]

بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِۚ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾

يحدثنا الشاعر هنا عن الواقع المعاش والمر من خلال حديثه عن الحكام الذين اجتمعوا في جلسة مغلقة وحاولوا اقتسام خيرات البلاد ونهبها، حيث يقول:

سأشهد يا سيدي

إنني لم أر الشمس وهي توزع في جلسة مغلقة[31]

في حين أن الشمس التي هي رمز للحياة والطمأنينة والسكينة لا تقتصر على أحد دون الآخر، لأنّ نعيمها يشمل جميع النّاس، وهذا ما أدى إلى بؤس الحياة وضنك العيش ومعاناة الأرامل واليتامى الأمر الذي فجرّ قريحة

الشاعر؛ إذ استطاع أن يرصد هذا الواقع المرير بحيث أمكنه أن ينقل هذه التجربة الشعورية إلى القارئ، بغية التأثير فيه ويجعل المتلقي يسبح في المياه العكرة لهذا الواقع المزري، وعلى ما يبدو أنّ هؤلاء الحكام قد خيل لهم أنّهم أصحاب الحق في هذا الملك متجاهلين الرعية وذوي الحقوق من يتامى وأرامل، شأنهم في ذلك شأن بني إسرائيل في زعمهم أنّهم قتلوا المسيح، ولكن في حقيقة الأمر لم يقتلوه ولم يصلبوه بل شبّه لهم.

كما يستلهم جوادي النّص القرآني[32] ويظهر في قوله:

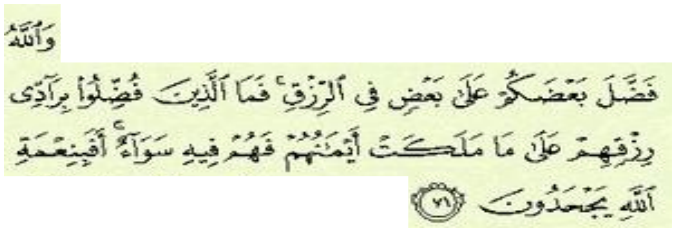

فسبحان من فضل المؤمنين

ورتبهم طبقات[33]

لقد استحضر لفظة "فضل" ويتميز هذا النوع من التناص بقدرة كبيرة على التكثيف والإيجاز، حيث تثير اللفظة الواحدة مشاعر وعقل المتلقي وتنقله مباشرة إلى النّص المستحضر، لقد امتص لغة النّص القرآني وتشربه فيعمل على إخراجها من سياقاتها الأصلية إلى سياقات أخرى لم تكن لها، إجلالا للنص المقتبس واحتراما له، كما استدعى جوادي شخصية "مريم البتول" التي ميزها الله عزّ وجل عن سائر نساء العالمين، فكانت تتصف بالعزة والطهارة والحشمة والعبادة، قال تعالى:[34]

ويذكر جوادي في قصيدته: "كان يا مكان في جلسة مغلقة" شهادة برؤية البتول تقيم الصلاة على ضفة النهر يقول:

أقسم أنّي رأيت البتول تقيم الصلاة

على ضفة النّهر تاركة طفلها عند مرضعة

من يهود الحجاز[35]

وبالرغم من أنّ الشاعر لم يذكر لفظة "مريم" صراحة إلا أنّه ذكر صفة من صفاتها وهي: "البتول"، وفي الآية توضيح على مخاطبة الملائكة لمريم عليها السلام أنّ الله "قد اصطفاها أي اختارها لكثرة عبادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوسواس واصطفاها ثانيا مرة بعد مرة بجلالتها على نساء العالمين"[36]، وقد استثمر جوادي هذه الشخصية ليبيّن أنّ الوطن قد تخلص من أدرانه في حقبة زمنية معينة وتخلص من جميع الشرور التي قد تسمم حياة النّاس واتصف بالطهر والنقاء، لذلك يستحضر الشاعر قصة مريم عليها السلام ويجعلها كمعادل موضوعي لذلك الواقع من خلال إسقاط صفاتها على تجربته الشعرية المعاصرة الجديدة، لكن المفارقة تكمن في أنّ مريم عليها السلام ستظل عفيفة على مر الأزمان والعصور، في حين نلمس أنّ واقع الشاعر اكتسى رداء الغدر والخيانة والنهب والاعتداء بدل الطّهر والعفة.

وثمة نص شعري يستوحيه جوادي، ويقوم بإعادة صياغته من جديد، بما يتلاءم وفكرته التي يريد إيصالها إلى المتلقي يقول في المقطع الخامس:

أنا والذي فجّر الأرض نفطا

وفضلنا على جميع خلائقه

والذي قسّم الرّزق بين العباد

وهيّأ للمؤمنين قصورا وجنات عدن

بها المتقون[37]

ففي هذه المقطوعة قسم يبيّن فيه الشاعر أنّه لن يقول الذي رآه وأنّه سيقول الذي ما رآه أمام القضاة، فاستحضر الآية الكريمة التي تصور حال المسلمين وهم يلقون ما وعدهم الله به "تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا"؛ وقد جاء هذا النص الشعري منسجما إلى حد كبير مع النّص الديني، وفي هذا المقطع تناص إشاري يتحقق من خلال الكلمات الآتية (الرزق، جنات عدن) إذ أسهم النّص المستحضر في تأكيد فكرة جوادي أنّ المؤمنين الأتقياء رفع الله مكانتهم وأسكنهم فسيح جناته وبنى لهم قصورا نظير ما عملوه في الدنيا وتشير عبارات (قسّم الرّزق بين العباد، هيأ للمؤمنين قصورا وجنات عدل، بها المتقون) إلى إيحاءات ودلالات واسعة تكمن في قوة التعبير وحسن اختيار الألفاظ لترسيخ الصورة الفنية والجمالية للنص الشعري، وجوادي هنا أراد أن يقول من خلال توظيفه لهذه الآية: إنّ اليتامى والأرامل والضعفاء المسلوبة حقوقهم سيعوضهم الله خيرا منها في الدّنيا والآخرة.

وجاء أيضا في المقطوعة نفسها قوله:

وأقسم أنّ الغفاري يضاهي ابن عفان في الرزق

لكن ربك يعطي لمن شاء وهو الغني القدير[38]

يشير هذا المقطع إلى الآية القرآنية: " اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ [39] ويهدف الشاعر جوادي إلى إقامة تداخل بين نصه الشعري والنص القرآني، مغيرا في ذلك بعض الألفاظ حتى يصور رؤيته الشعرية ويكسبها مزيدا من الجمال والصدق الفني.

ولم يكتف الشاعر بمحاولة امتصاص معاني الآيات القرآنية أو الإشارة إليها من خلال لفظة أو أكثر، كما رأينا من قبل وإنّما تعدى ذلك إلى اقتباس بعض الصيغ والتراكيب القرآنية بحرفياتها مع بعض التغيير، وهذا ما يعرف بالاقتباس الكامل المحور، يقول في قصيدة مقاطع مفككة من رحلة الضياع:

وإنّي لأعلم علم اليقين الذي في الصدور[40]

وهنا يقتبس من الآية الكريمة:[41]

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ
غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

يخبرنا النّص القرآني يخبرنا بأنّ الله عالم غيب السموات والأرض وأنّه يعلم ما تكنه السرائر وتنطوي عليه الضمائر وسيجازي كل عامل بعمله، أمّا الشاعر فيعلم أسرار ونوايا الحكام وكلّ ما يخططون له لتعزيز مصالحهم وضمان بقائهم في سدّة الحكم.

ب- التناص الديني في ثلاثيات العشق الآخر:

كما أثبت "جوادي" قدرته على فهم القرآن الكريم وتذوقه الفني باستحضاره للآيات القرآنية في شعره، يقول في ديوان "ثلاثيات العشق الآخر":

ومن قال إنّي

إلى جنّة الخلد أرقى

وآدم يهبط"(42)

وقد وردت لفظة الجنة في العديد من آيات القرآن الكريم نذكر على سبيل المثال الآية القرآنية:(43)

﴿ قُلْ
أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾

– واستغل جوادي هذه الآية ليعبر عن مدى حبه وإخلاصه لمحبوبته ويستكمل ذلك بقصّة آدم وحوّاء عليهما السلام مع إبليس يقول:

كآدم كنت وكنت كحواء

اثنان في جنّة الخلد

ولم يك إبليس إذاك إلّا

ملاكا إلى عمل الخير ينصح

ولم يك من بيننا من خطايا

سوى بعض ما قد من اللوح يمسح"(44)

ويحيلنا هذا المقطع إلى النّص القرآني:(45)

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا

ويذكر الله تعالى أنّه أباح لآدم عليه السلام ولزوجته حواء الجنّة وأن يأكلا منها ومن جميع ثمارها إلّا شجرة واحدة وعند ذلك حسدهما الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة ليوقع بينهما ويخرجهما من النعمة التي أعطاها الله عزّ وجلّ لهما حتى أخرجهما الله من الجنّة، غير أنّ الشاعر وظّف هذه القصة واستفاد منها ومن توظيف القرآن لها حيث ذهب إلى معنى مغاير وهو أنّ إبليس لم يكن إلّا ملاكا يعمل الخير وينصحهما وهما في جنّة الخلد، وهنا خرق فيما هو متعارف عليه فإبليس رمز للشر والتكبر، ويواصل الشاعر اقتباسه من القرآن الكريم وهذه المرة مع معاني وعبارات أخرى يقول:

أنا لست من معشر المشركين

ولم أك يوما من الملحدين

ولم أتخذ من إله سواه

ولم أعتنق غير حبك دين"(46)

وقد جاء في القرآن الكريم(47)

﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ
ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾

يبيّن الشاعر في هذا المقطع أنّه يخاف الله عزّ وجلّ ويؤمن بوحدانيته وألوهيته وهو بذلك ليس من المشركين ولا من الملحدين، وأنّ حبّه لها نابع من هذا المبدأ والمنطلق. وجاء في المقطع نفسه:

ولكن إذا ما استشاط في المزار

دعوتك يا أرحم الراحمين[48]

وفي هذا المقطع يبيّن الشاعر أنّ الغضب كلّما اشتد عليه يلجأ إلى الواحد الأحد يطلب منه الرحمة والعفو، وهذا يذكرنا بقصة النبي أيوب عليه السلام عندما اشتد عليه الضر والمرض فدعا ربّه أن يرحمه وجاء ذلك في قوله تعالى:"[49]

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾

لقد استعمل جوادي هذين النّصين القرآنيين ليؤكد لمحبوبته على قوة إيمانه وتمسكه بدينه، فمشاعره صادقة وحبه لها نابع من القلب، وهذا التناص مع الآيتين تمّ بعد أن أخذت الدلالة منحى نفسيا خاص بنفسية الشاعر.

ويواصل "جوادي" اقتباس بعض الصيغ والتراكيب القرآنية وهذا في قوله:

يحاصرني الحب هذي سفائن

طارق نيرانها تستعر

وهذي عيونك أهون منها

عذاب الجحيم ونار سقر[50]

فهو هنا يقتبس من الآية القرآنية:[51]

﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾

ففي هذه الآية الكريمة يخبرنا الله عزّ وجلّ أنّ المجرمين " في ضلال عن الحق وسقر ممّا هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق"[52] أمّا الشاعر فقد ذهب إلى معنى آخر وهو أنّ عاطفة الحب الصادقة وشدة الاشتياق كانت كنيران الجحيم التي أحرقت قلبه فحاصرته من جميع الاتجاهات.

ج- التناص الديني في ديوان يوميات متسكع محظوظ:

إذا ما انتقلنا إلى ديوان "يوميات متسكع محظوظ" نجده لا يختلف كثيرا عن بقية الدواوين حيث استحضر شخصية أيوب في قصيدته "ما سرّ القمة يا أمّاه" يقول:

وتعرض يوما في البيداء لقافلة

تجتاح الصّبر وأيّوب العرب

زرعت في البيداء الألغام[53]

لقد استحضر جوادي في المقطع السابق الآية الكريمة:[54]

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾

يذكر الله تعالى أيوب عليه السلام وما أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده " ولم يبق منه شيئ سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عزّ وجلّ"[55] مع ذلك يبقى صابرا حتى أصبح يضرب به المثل في الصبر "صبر

أيوب"، وقد استثمر الشاعر هذه الشخصية ليبيّن كم تحمّل وصبر على هذا الواقع المعاش والمزري فضلا عن ظلم الحكام وتجبرهم وكذبهم على الشّعب، وجاء الاقتباس الديني من القصيدة نفسها في قوله:

والجلسة لم ترفع

والخالق لم يشفع

وعلي وفاطمة الزّهراء

الويل لكم

الويل لهم من الإنسان إذا اختار العقبة

هل تدري ما العقبة"[56]

ويتضح في هذا المقطع وجود اقتباس من آيتين قرآنيتين؛ الأولى في لفظة "يشفع" وقد جاء في قوله تعالى: مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ [57]– ومعنى الآية أنّ الله عزّ وجلّ عنده تكمن صفة الألوهية والعبودية فهو حيّ يجمع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله ولا يتجاسر أحد أن يشفع عنده إلّا بإذنه. والثانية في لفظة العقبة ويظهر ذلك في قوله تعالى: فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ [58] ومعنى الآية هلاّ تجاوز الإنسان مشقة الآخرة بإنفاق ماله فيأمن الدّنيا والآخرة وكما هو واضح فالمعنى الموجود في المقطوعة يختلف عمّا هو موجود في الآيتين إذ إنّ المعنى يشير إلى حال الواقع المتردي آنذاك وحالة الحزن والرفض عند الشاعر لذلك الواقع.

وللتناص القرآني ثراؤه وحضوره إذ إنّ الشاعر يلقى فيه كل ما يحتاجه من إحالات ورموز تعبّر عمّا يجوب في نفسيته ومجتمعه ومن ذلك التناص قوله:

سبحان الخالق من الخالق

سبحان الرّزاق من الرّزاق[59]

وهذا تناص مع الآية القرآنية:[60]

ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٤٠

إنّ القاسم المشترك بين التعجب في مقطع القصيدة والآية القرآنية هو النفي والاستنكار وإن كان يختلفان من حيث المضمون؛ كون الشاعر يتعجب من حالة الفساد والظلم السائد في مجتمعه بينما الله سبحانه وتعالى يتعجب من حال المشركين فهو "تعالى وتقدس وتنزّه وتعاظم وجلّ... عن أن يكون له شريك أو نظير... بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد"[61]

ومن التناص القرآني تقاطع خطاب جوادي الشعري مع قصة موسى عليه السلام مع فرعون قال:

تتناقل أخباري صحف العالم

وعصا موسى عجزت

فرعون هو الظالم[62]

وفي تناص آخر مع قوله تعالى:[63]

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ
ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾

يقول جوادي في القصيدة نفسها التي يشكو فيها الألم والحزن:

فرجعت إلى الأحزان إلى الآلام إلى الأجناس

وهتفت أعود برب النّاس

من شر الوسواس الخنّاس"(64)

يبدو واضحا مدى التشابه والتطابق اللفظي والنحوي بين النّص لولا الحذف الموجود، إذ حذف جوادي آيتين (ملك الناس– إله الناس) واستبدل كلمة (قل) ب (هتفت) فالفعل قل في الآية جاء بصيغة الأمر بينما الفعل هتفت فاعله الضمير المتصل التاء، كما يتطابق التناص بين النّصين على مستوى الدلالة كذلك فجوادي يعاني من حالة نفسية كئيبة (الحزن، الألم) نتيجة ما تمر به الأمة من فتن وحروب وظلم واستبداد فرجع إلى رب العالمين كما هو الحال مع الرسول صلى الله عليه وسلم، حينما لجأ إلى ربه فأمره بأن يعود ويعتصم به فهو القادر على رد وساوس الشيطان والإنس، اللذين يبثان الشر والشكوك في صدور النّاس.

وفي تناص آخر مع قوله تعالى:(65)

قَالَ
فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾

وفي معنى الآية: أنّ إبليس أظهر كبره وحسده بعدم السجود للإنسان، فما كان لله عزّ وجلّ إلّا أن أخرجه من الجنة وطرده من كل خير وأنّ عليه اللعنة والبعد من رحمته إلى يوم يبعث النّاس للحساب والجزاء، يقول في مقطع آخر من القصيدة عن الوطن:

يا منفى الصّيادين ويا منفى الحساد

مغضوب أنت عليك كالعاد

مغضوب أنت عليك إلى يوم الميعاد"(66)

وواضح أنّ جوادي قد امتص وتشرب الآية القرآنية بعدما حوّر فيها ووضعها في تركيب لغوي جديد له أسلوب خاص وهذا بهدف إسقاط مغزاه ومضمونه –وهو خروج إبليس من الجنة بعد تمرده على أوامر الله عزّ وجلّ فطرده من رحمته– على الوطن الذي يعاني ويلات الاستبداد والظلم والخيانة والحسد وغيرها.

وفي قصيدة "الازدواجية" نجد تناصا آخرَ في قوله:

ولكنني– وأنا الملك المتفتح– قد جبت سبعا طباقا

لأبصرهم

يحلمون ببسمة فجر

رأيت الفضاضة عدت لربي(67)

وهذا المقطع يحيل إلى الآية القرآنية:(68)

ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾

إنّ الإشارة إلى هذه الآية كان بتوظيف الشاعر الألفاظ الآتية وإن حوّر بعضها (السبع/ سبعا، البصر/ أبصارهم) فالله جلّ جلاله خلق سبع سماوات متناسقة بعضها فوق بعض لا يرى فيها الناظر أيّ اختلاف أو تباين، فأعد النظر إلى السماء هل ترى فيها من شقوق أو صدع، فهذه نعمة من الله عزّ وجل أعطاها للجميع دون استثناء غير أنّ حكام الوطن العربي استغلوا هذه النعمة على حساب الشعب؛ حيث يبصر الشاعر أن هذه الطبقة المحرومة تحن إلى بسمة فجر تغيّر واقعهم المجحف وفي القصيدة نفسها نجد تناصا آخر مع الآية القرآنية:[69]

اعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾

وهذا حينما أراد أن يصور نفسه بأنّه يعلم كل ما يدور في أمّته العربية من نميمة وظلم وشتائم ومعاناة، فضلا على التآمر عليه يقول:

أيقنت أنّي المقيم
وأيقنت أنّي السميع العليم
المجيب، الغفور الرحيم
الشديد العقاب
ومالك كل الرقاب[70]

وبهذا يوجه هذا الخطاب إلى هؤلاء الحكام أن يكفوا عن تصرفاتهم هذه، ويستغفروا ربّهم فرحمته وسعت كلّ شيء، وإن لم ينتهوا عن ذلك فإنّ عقابهم سيكون شديدا في الدّنيا والآخرة ويمزج الشاعر جوادي خطابه الشعري مع بعض الآيات القرآنية مبتعدا عن سياقها القرآني، ومن ذلك قوله:

وأخرج حينا إلى العالم المترنح ذات اليمين
وذات اليسار[71]

وهذا تناص مع الآية الكريمة:[72]

وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ

وفي الآية حديث عن أصحاب الكهف، كيف إذا الشمس طلعت تميل عن مكانهم جهة اليمين وإذا غربت تتركهم إلى جهة اليسار؛ فهو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم، فإنّه من هداه الله اهتدى، ومن أضله فلا هادي له"[73] والشاعر هنا استفاد من هذه الآية ومعناها، حينما عبرّ عن التناقض الموجود في العالم بصفة عامة والوطن العربي بصفة خاصة، وهو يرى أنّ أساس إزالة هذا الاختلاف يكمن في الاهتداء بالله عزّ وجلّ حتى يرشدنا لإصابة الحق؛ لأنّ التوفيق والهداية بيده وحده.

كما نجد تناصا آخر مع قوله تعالى:[74]

كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟
مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ

وهذا في قوله:

بالرفث الهمجي وجامع مثنى ثلاثا رباعا

ولم يتهشم زجاج النوافذ، لكن وجهي تفتت في الساحل[75]

وهنا يتحسر الشاعر على الواقع الصعب والمر الذي تعاني منه الأمة العربية؛ فهي تعيش في اضطهاد ونفاق وفوضى ممّا سهل لإعداد التدخل في شؤونها، ومن الناحية الفنية غير جوادي معانيه الشعرية بمعان قرآنية دالة فقام بخرق تلك المعاني وأخرجها من سياقها الديني لتعبر عن ظاهرة معينة انتشرت في عصره، غير أنّه ظلّ يتحرك في تلك الآيات القرآنية وهو ما يؤكده في المقطع التالي:

جلست على العرش والأمة العربية في حفرة عرضها

الخزي والعار، في حفرة عرضها العفو والكذب الباطن[76]

وفي هذا المقطع استعمل الشاعر لفظة "عرضها" حيث اقتبسها من القرآن الكريم وقد جاء في قوله تعالى:"[77]

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾

ففي هذه الآية يدعو الله عزّ وجلّ المؤمنين إلى الإسراع إلى مغفرته عرضها السماوات والأرض لو وصلت إحداهما بالأخرى وهذا يكون بالطاعات وترك المعاصي، ولكن الشاعر أراد أن يصورّ الواقع المقلوب والمتناقض الذي تعيشه الأمة العربية وما نتج عنه من تخلف وانقسام لا يزال إلى يومنا هذا.

أمّا في قصيدة "رباعيات الطفل العاق" يتناص جوادي مع قوله تعالى ﴿ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ ﴾ [78] وهذا من خلال لفظة "مسغبة" يقول:

الواحة يا أمي لن تسغب، لن تسغب

من قيظي

من قحطي"[79]

والمقصود بالمسغبة الجوع، وقد وظف هذه المفردة وكررها ليؤكد على طغيان هذه الآفة في المجتمع العربي، بسبب جشع الحكام وظلمهم، ومع ذلك يطمئن أمّه الجزائر والبلدان العربية الأخرى بأنّ ذلك لن يطول وسيأتي الفرج قريبا، والملاحظ أنّ "التناص يضع النّص دائما في موضع الإنتاج، أي في موضع الدلالة المستمرة وليس في موضع الاستهلاك"[80] فلفظة مسغبة امتصها الشاعر من سياقها الأصلي ونقلها داخل سياق يختلف عن ذلك المعنى.

وفي قصيدة الشمس في استقالة مؤقتة يؤكد الشاعر تذمره من واقع الأمة العربية وحكامها والمصير الذي آلت إليه من فقر وذل وجهل، فربط بين العرب الذين خانوا شعوبهم وبين أبي لهب الذي آذى الرسول صلّى الله عليه وسلّم وذلك في قوله:

تبّت يدا أبي لهب

فالمجد دوما للعرب

والنّفط دوما للعرب

تبّت يدا بعض العرب[81]

وهذا المقطع يتقاطع مع قوله تعالى:"[82]

﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ ﴾

فالعرب كسبوا المال والمجد والنّفط فازدادوا غنى على حساب شعوبهم، وأبو لهب كسب مالا كثيرا على حساب الفقراء واليتامى، والملاحظ هنا؛ أنّ الشاعر استدعى هذا التناص انطلاقا من تجربته ومعايشته لحال الأمّة العربية وما تعيشه من أوضاع صعبة ومأساوية وقد أراد من ذلك أن يعطيها عمقا وشمولية ويشحنها بدلالات ورموز من أجل التأثير في القارئ وهذا نظرا لما تحمله اللغة الدينية من تأثير في نفسية المتلقي فضلا عن إثراء النّص الشعري بقيم فنية وجمالية تأسر بها السامع والقارئ على حد سواء، وعليه فالتناص "لا يقتصر دوره على الاستدعاء وبيانه، ورد النّص إلى النّصوص المصادر التي امتاح منها، وعاصرها وصاحبها، وإن كان هذا أساسيا فيه، وإنّما يتبلور هذا في تفسير وإبانة وكشف وتحليل، إذ ليس الغرض من التناص الكشف فقط عن مصادر التأثر وعلاقته، وإنّما فضلا عن هذا تأويل النّص"[82] إنّه يعمل وفقا لتصور الكتابة بوصفها حالة من الاختلاف يكون الأديب السبب الرئيسي فيه.

الخلاصة:

بعد دراستنا لنماذج شعرية وبعد الاطلاع على ما تضمنته من تناص ديني إليكم أهم النتائج:

- هيمنة النّص القرآني على بقية العناصر المكونة للتناص الديني.
- تنوع عملية استدعاء الموروث الديني (النّص القرآني، الحديث النبوي الشريف) عبر تمظهرات مختلفة.
- شكلت الصيغ الدينية بروز العديد من القيم المختلفة: دينية، اجتماعية، سياسية...
- لقد وفق الشاعر في استثماره للمفردة الدينية بطريقة مباشرة أو إيحائية، وهذا بفضل ثقافته الدينية.

الإحالات:

1- ابن منظور: لسان العرب، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ج4، بيروت لبنان، 2005، ص 539-540.

2- المعجم الوسيط: معجم اللغة العربية، الإدارة العامة، المعجمات وإحياء التراث، ط4، مكتبة الشروق الدولية، ص 927.

3- أحمد جبر شعث: جماليات التناص، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2013، ص 54.

4- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتجية التناص، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 1992، ص 134.

5- معجب العدواني: الكتابة والمحو، التناص في أعمال رجاء عالم، ط1، مؤسسة الإنشاء العربي، بيروت، 2009، ص 13.

6- عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير، د/ط، النادي الثقافي الأدبي، جدة، السعودية، د/ت، ص 321.

7- بشير تاوريريت وسامية راجح: التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، ط1، دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية، دار رسلان، دمشق، سوريا، ص 60.

8- عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية تطبيقية، د/ط، أفريقيا للشرق، المغرب، 2007، ص 26.

9- ينظر: معجب العدواني، مرجع سابق، ص 14-15.

10- أحمد طعمة حلبي: التناص بين النظرية والتطبيق، شعر البياتي نموذجا، د/ط، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،

11- سليمان جوادي: قال سليمان، ط2، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 4.

12- أحمد طعمة حلبي، مرجع سابق، ص 99.

13- سليمان جوادي: قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا، د/ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 9.

14- الفجر، الآية: 27-28.

15- ابن كثير: تفسير ابن كثير، المجلد الرابع، دار نور للكتاب، الجزائر، 2008، ص 310.

16- سليمان جوادي: قصائد للحزن، ص 15.

17- النور، الآية: 26.

18- ابن كثير: تفسير ابن كثير، المجلد03، دار نور للكتاب، الجزائر، 2008، ص 26.

19- سليمان جوادي: قصائد للحزن، ص 15.
20- سليمان جوادي: قصائد للحزن، ص 17-18.
21- الأحزاب الآية: 63.
22- ابن كثير: تفسير ابن كثير، المجلد3، ص 339.
23- سليمان جوادي: قصائد للحزن، ص 18.
24- الكافرون، الآية: 06.
25- ابن كثير: تفسير ابن كثير، المجلد04، ص 382.
26- سليمان جوادي: قصائد للحزن، ص 45.
27- الأنبياء، الآية: 33.
28- سليمان جوادي: قصائد للحزن، ص 49.
29- ابن كثير: تفسير ابن كثير، المجلد الأوّل، ص 327.
30- النساء، الآية: 157.
31- سليمان جوادي: قصائد للحزن، ص 48.
32- سورة النحل، الآية: 71.
33- سليمان جوادي: قصائد للحزن، ص 50.
34- القرآن الكريم: آل عمران، الآية: 43.
35- سليمان جوادي: قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا، ص 52.
36- ابن كثير: تفسير ابن كثير، المجلد الأوّل، دار نور الكتاب، الجزائر، 2007، ص 28.
37- سليمان جوادي: قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا، ص 53.
38- سليمان جوادي: قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا، ص 54.
39- الشورى، الآية 19.
40- سليمان جوادي: قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا، ص 100.
41- فاطر، الآية: 38.
42- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ويليه ثلاثيات العشق الآخر، ط1، منشورات آرتستيك، الجزائر، القرآن الكريم: الفرقان، الآية: 15.
43- سليمان جوادي: ثلاثيات العشق الآخر، ص 112.
44- الأعراف، الآيتان: 19-20.
45- سليمان جوادي: ثلاثيات العشق الآخر، ص 121.
46- النحل، الآية: 51.
47- سليمان جوادي: ثلاثيات العشق الآخر، ص 121.
48- الأنبياء، الآية: 83.
49- سليمان جوادي، المصدر نفسه، ص 133.
50- القمر، الآية: 48.
51- ابن كثير: تفسير ابن كثير، المجلد الرابع، ص 348.
52- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ويليه ثلاثيات العشق، ط1، منشورات آرتيستيك، الجزائر، 2009، ص 20.
53- القرآن الكريم: الأنبياء، الآية: 83.
54- ابن كثير: تفسير ابن كثير، الجزء الثاني، ص 251.
55- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ص 22-23.
56- البقرة، الآية: 255.

57- البلد، الآيتان: 11-12.

58- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ص 24.

59- الروم، الآيتان: 40-41.

60- ابن كثير: تفسير ابن كثير، الجزء الثالث، ص 228.

61- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ص 24.

62- النّاس 1-4.

63- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ص 27.

64- الحجر، 34-36.

65- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ص 28.

66- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ص 58.

67- الملك، الآية: 03.

68- المائدة، الآية: 98.

69- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ص 59.

70- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ص 86.

71- الكهف، الآية: 17.

72- ينظر: ابن كثير: تفسير ابن كثير، ص 103.

73- النساء، الآية: 03.

74- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ص 60.

75- سليمان جوادي: المصدر نفسه، ص 58-59.

76- آل عمران، الآية: 133.

77- البلد، الآية 14.

78- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ص 67.

79- محمد بيومي عبد السلام: التناص مقاربة نظرية شارحة، عالم الفكر، العدد1، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، سبتمبر، 2011، ص 95.

80- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ص 94-95.

81- المسد، الآيتان: 1-2.

82- عبد العاطي كيوان: التناص القرآني ودوره في إنتاج الدلالة الشعرية عند المعاصرين، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 2005، ص 29-30.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

2- ابن كثير: تفسير ابن كثير، د/ط، المجلد1،2،3،4، دار نور الكتاب، الجزائر، 2007.

3- ابن منظور: لسان العرب، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الجزء الرابع، بيروت، لبنان 2005.

4- سليمان جوادي: قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا، د/ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

5- سليمان جوادي: يوميات متسكع محظوظ، ويليه ثلاثيات العشق، ط1، منشورات آرتيستيك، الجزائر، 2009.

ثانيا: المراجع:

أ- المراجع العربية

1- أحمد جبر شعث: جماليات التناص، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2013.

2- أحمد طعمة الحلبي، التناص بين النظرية والتطبيق، شعر البياتي نموذجا، د/ط، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007.

3- بشير تاوريريت وسامية راجح: التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، ط1، دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية، دار رسلان، دمشق، سوريا، د/ت.

4- عبد العاطي كيوان: التناص القرآني ودوره في إنتاج الدلالة الشعرية عند المعاصرين، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 2005.

5- عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية، أفريقيا، الشرق، المغرب، 2007.

6- عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير، د/ط، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، د/ت.

7- محمد بيومي عبد السلام: التناص مقاربة نظرية شارحة، عالم الفكر، العدد1، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت سبتمبر، 2011.

8- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتجية التناص، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1992.

9- معجب العدواني: الكتابة والمحو –التناص في أعمال رجاء عالم- ط1، مؤسسة الإنشاء العربي، بيروت، لبنان، 2009.

ب- المعاجم:

1- المعجم الوسيط: معجم اللغة العربية، الإدارة العامة، المعجمات وإحياء التراث، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004.